مئة الف عراقي ذهبوا وقودا على مذبح بوش وانبياء النظام العالمي الجديد

هذه الحرب ماسأة عالمية تقودها امبراطورية متغطرسة تقاتل طواحين هواء واسرائيل حليفتها الوحيدة

■ هذه الحرب كانت قبل كل شيء مأساة اسرائيلية، وهي مأساة لبنانية ايضا، وفي الواقع ـ مأساة عالمية.

عندما قررت حكومة اسرائيل شن الحرب بسبب استفزاز عملية الاختطاف، لم تأخذ في الحسبان أنه لا يوجد من يوقف هذه الحرب. منذ اللحظة التي ستندلع فيها وتتدحرج وتتعقد، ليس في العالم اليوم طرف قادر أو جاهز لتحديد نقطة الانتهاء. عالم بداية القرن الواحد والعشرين هو عالم بلا قيادة وارادة وانضباط.

في كل مرة أسمع فيها عن «الأسرة الدولية» وعن الامم المتحدة ومجلس أمنها، أستبدل بكائي بضحك مرير. ليست هناك أسرة من دون قيادة ولا مجلس أمن من دون طرف يحدد القرار فيه. الطرف الذي كان من المفترض به أن يلعب هذا الدور القيادي، أي الولايات المتحدة، هو قيادة خاوية غير حقيقية.

سقطت على العالم وعلى كل من فيه مصيبة فادحة عندما انتخب جورج بوش رئيسا للولايات المتحدة. العالم كبير كما نعرف، وهو كبير فعلا على جورج بوش، فليس هو الشخص الذي يمكنه أن يخفف آلامه وأوجاعه. هذا شخص منذ أن «وُلد من جديد» وفُتحت عيونه كعيون الطفل الرضيع، وهو يرى العالم بصورة سطحية. وفقا لتقاليد المسيحي الاصولي المزوجة بتقاليد «الكاوبوي» القادم من تكساس، يقوم بوش بتقسيم العالم الى أخيار وأشرار والى أبناء النور ضد أبناء الظلام. وتقسيمه هذا قاطع وحاد من دون تزويق أو تلوين. خسارة أن الرئيس الامريكي ورث الارض من دون أن يرث السماء التي تنقسم بوضوح بين الجنة وجهنم، من دون ان يتلامس ملكوت الخلاص بملكوت الشر.

ليس لدى هذا الرئيس الموعود المبشر ولن يكون، «حوار مع المنحرفين الذين حادوا عن الصراط المستقيم»، الذي يحدده كهنة مسيحيون متعصبون في الكنيسة وأنبياء «النظام العالمي الجديد» في البنتاغون. لذلك وجدنا الامبراطورية الوحيدة فوق المعمورة متخاصمة متنازعة مع نصف العالم. هي لا تتحدث مع كوريا الشمالية ولا مع ايران ولا مع سورية ولا حتى مع أتباعهم ومن يوالونهم ـ حزب الله، حماس، طالبان وأشباههم.

في رحلة الخلاص الكاملة يضيع بوش في طرق المعمورة وفي دروب الحماقة، مقاتلا طواحين الهواء السيئة مثل «دون كيشوت» المتحمس ليحصد العاصفة. هو يضع نصب عينيه قراره الحازم بنشر الديمقراطية في كل دولة وقطر حتى إن غرق مواطنو هذه الدولة بالدم. نحو مائة ألف عراقي صبوا دماءهم كزيت على دواليب ثورة بوش الخلاصية، وفي العراق يُقتل ألف شخص في كل اسبوع، هذا من دون أن نحصي ضحايا افغانستان التي لا تجد من يعدها.

الأسرة الدولية ممزقة ومفرقة ومشتتة ومشرذمة، كما لم تكن في أي وقت من الاوقات. هي ترفض السير في طريق بوش، ولكنها لا تملك طريقا بديلا خاصا بها. الاتحاد الاوروبي يبدو احيانا أكثر صحوة، ولكنه مفزوع أكثر منه مستيقظا. الخيار العالمي هو اذا خيار بائس. خيار بين ضعاف العقول وبين ضعاف القلوب.

في اسرائيل فقط ما زالوا ينفعلون ويعجبون من الرئيس وبطانته «الكوندوليسية». ربما يوجد لديهم استعداد هناك في واشنطن لانقاذ اسرائيل من أيدي أعدائها، وليس لديهم استعداد لانقاذها من أيدي صديقتها الكبرى ومن نفسها. أما الأشرار فقد توقفوا عن التأثر ببوش منذ مدة طويلة. هم يواصلون مسيرتهم وخططهم وكأن أمريكا غير موجودة وكأنها لا تملك ما تقوله. حتى اذا صرخ بوش بصوته المزمجر ألف مرة فان كلمته ليست مسموعة. هم يقولون اذا كان بوش قد خاصمنا فهذا جيد، فنحن لسنا بحاجة اليه. مجانين كل العالم يتحدون ويتعاظمون ويستخفون بتوبيخات بوش المصطنعة التي تشبه توبيخات المعلم المنعزل في زاويته داخل صف هائج.

الولايات المتحدة بزعامة بوش دمرت بكلتا يديها قدرتها الردعية وقدرة العالم الحر، ومن خلال ذلك ايضا القدرة الردعية الاسرائيلية. اذا لم يكن الجني الامريكي الذي سيطر على العراق مخيفا كما كانوا يتصورون، وقابلا للارهاق والاستنزاف، فلا سبب اذا للخوف من المارد الاسرائيلي.

من كان يصدق: احيانا يشتاق الانسان الطبيعي الى عالم المعسكرين الذي كان سائدا قبل سقوط الأسوار بين الشرق والغرب. صحيح ان مصير الانسانية كان في تلك الايام قائما على كبح «توازن الرعب»، وفي كل توازن يفرض القيام بخطوات محسوبة جيدا. وما ان زال خطر الحرب الباردة حتى زال معها ذلك التوازن، ولم تعد الزعامة الامريكية العظيمة والمقتدرة بقادرة بكل بساطة. العالم يسخن ويخرج عن نطاق السيطرة. والضحايا الدوريون في هذا العالم المنفلت من عقاله هم نحن.

يوسي ساريد

(هآرتس) ـ 2006/8/11

فشلنا في هذه الحرب كما في حرب اكتوبر ولا تسوية في الافق ما دامت ايران تواصل الضغط على الزناد

■ على الرغم من مرور 33 سنة منذ حرب يوم الغفران، مع أنه منذ أن عقدنا سلاما مع مصر والاردن، ومع أن عدد السكان عندنا ازداد منذئذ مليوناً ونصف المليون نسمة، ومع أن القوة العسكرية الاسرائيلية ازدادت وتطورت بلا قياس، ومع أن اغلبية الشعب قد نفضت عنها، بفضل اريئيل شارون حلم ارض اسرائيل الكاملة وهي تصحو من أوهام الاحتلال ـ الا أن المراقب الواعي سيجد أوجه شبه بين ما حصل لنا في حينه وبين ما يحصل لنا الان.

نبدأ أولا بغرورنا ووقاحتنا اللذين سبقا الحرب. فقد هزئنا مثلا من التصريح الدراماتيكي لانور السادات في أنه مستعد لان يضحي بمليون جندي كي يعيد الاراضي التي احتلتها اسرائيل. وقالوا في حينه انه يقول هراء. وان ليس لديه القوة لشن الحرب وحده، إذ أن أجهزة المخابرات الفاخرة لدينا لم تعرف، أنه بينما نحن هنا نلهو، فان سورية تعد في الخفاء مع مصر لهجوم انتقامي ضد اسرائيل. وبذات القدر لم نتصور بان حزب الله، الذي ليس سوى منظمة ارهابية تضم نحو الفي مقاتل، مستعد اكثر منا لمواجهة جبهوية، سيرد لنا الحرب الصاع بالصاع بسلاح يعد كالقوس والسهم بالنسبة للترسانة التي لدينا.

في الحالتين رد رئيسا الاركان عندنا بالغرور وبالثقة المبالغة بالنفس. في اليوم الاول لحرب يوم الغفران أعلن رئيس الاركان في حينه دافيد بن اليعيزر في مؤتمر صحافي كثير المشاركين: : «نحن سنحطم لهم عظامهم». اما رئيس الاركان دان حلوتس فعقب على عملية الاختطاف التي نفذها حزب الله بتهديد: «نحن سنعيد لبنان عشرين سنة الى الوراء». في الحالتين نجح المهاجمون بالتمثيل باسرائيل. السوريون والمصريون قتلوا جنودنا في الجبهتين، وحزب الله أحدث دمارا شديدا في جبهتنا الداخلية بصواريخه وكاتيوشاته؛ سلاح بدائي ولكن مدمر ضد النساء، الشيوخ والاطفال.

في الحالتين وقعت اسرائيل ضحية المفاجأة، التي سميت لاحقا بضحية «المفهوم»، والذي أساسه الاعتقاد «انهم لن يتجرأوا». في حينه افترضوا أن مصر تريد الاجتياح ولكنها لا تستطيع اجتياز قناة السويس والتغلب على ״خط بارليف״. ولكنها فعلت ذلك، بالمفاجأة وبقوة. الثقة في أننا سنصدهم ونهزمهم في الجانب الاخر من القناة تبددت. وبذات القدر أخطأ الان رئيس الاركان في فتح حرب بدل الرد باعمال رد فعل.

في نظرة الى الوراء يبدو أن هذه هي الفرصة التي انتظرها حزب الله في زرعه فخاً للجيش الاسرائيلي اعطاه العذر لمهاجمة الجبهة الاسرائيلية الداخلية.

في الحالتين كان هناك اخفاق استخباري، ليس فقط بالنسبة لمخططات العدو الحربية، بل وايضا بالنسبة لقدراته.

المصريون فاجأوا اسرائيل بصواريخ ساغر، صواريخ كتف نكلت بدباباتنا، وبصواريخ أرض ـ جو اسقطت الكثير من طائراتنا وأضعفت قوة الصد لدى سلاح الجو. «الصاروخ الذي لوى ذيل الطائرة» على حد تعبير عيزر وايزمن في حينه.

حزب الله فاجأنا ليس فقط بكمية ونوعية الصواريخ بل بقدرته على اطلاق نحو 200 صاروخ في اليوم حتى جنوبي الخضيرة وتحويل ربع مليون من سكان الجبهة الداخلية الى نازحين. كما أنه فاجأ بنوع السلاح المضاد للدروع الذي يخترق مركفاه وبانتشاره على طول وعرض لبنان في حالة هجوم بري.

في الحربين تم اقصاء قائدي المنطقة. حاييم بارليف حل محل شموئيل غوردش في الجنوب وموشيه كابلنسكي محل اودي ادام في الشمال. أدام بدا ثقيل الحركة واخطأ أساسا عندما قال في مقابلة صحافية ان لديه الكثير من الخيارات؛ ولكنه لا يمكنه أن يوقف نار الكاتيوشا.

الفارق بين ذلك الوقت واليوم هو، أنه في مرحلة معينة، وبعد الاف القتلى، صحا الجيش الاسرائيلي، اجتاز القناة وفرض حصارا على الجيش الثالث.

هنري كيسنجر اقنع اسرائيل بعدم تصفية الجيش، وهكذا فتح مسيرة حوار، انتهت بعد نحو ثلاث سنوات باتفاق سلام.

نهاية سعيدة كهذه غير متوقعة في الجبهة الشمالية. فلا تسوية سياسية ولا حسما عسكريا سيغيران الوضع، طالما بقيت ايران هنا وهي تسيطر على مستوى المعركة.

يوئيل ماركوس

كاتب دائم في الصحيفة

(هآرتس) ـ 2006/8/11

الجيش الاسرائيلي يحتاج لاعادة النظر في نظرياته الحربية

على اسرائيل الاستعداد للجولة الثانية بعد الصفعة التي تلقتها على يد حزب الله

رتل من الدبابات الاسرائيلية ينتظر قرب كريات شمونا على الحدود مع لبنان

■ على الدولة احيانا أن تتلقى صفعة حتى تستيقظ للواقع الذي تغير من حولها. هذا حدث لاسرائيل في حرب الغفران التي كلفتها 2600 قتيل، وفي انتفاضة الاقصى التي حصدت أكثر من ألف ضحية. والآن، ها هي تتلقى صفعة خاطفة على وجهها في الحرب مع حزب الله. خسارة أن كي الوعي الاسرائيلي يستوجب سقوط الضحايا والدمار والآلام في كل مرة. في الدول العربية ايضا يعتقد الكثيرون أن الحرب قد تمخضت عن واقع جديد. الجيش الاسرائيلي حسب رأيهم يجد صعوبة في إخضاع حزب الله، وفي سورية يسألون أما آن الأوان لتحرير الجولان بالقوة. أنصار السلام مع اسرائيل في العالم العربي في حالة دفاع عن النفس. اذا كان هذا هو اتجاه الامور، فالطريق مشرعة نحو جولة حربية جديدة.

المعركة بين اسرائيل وحزب الله هي بالنسبة للكثيرين في العالم العربي جزء من الصورة الأوسع التي تتضمن ايضا عدم قدرة امريكا على إخضاع الثورة في العراق. هم يرون أن القوة العسكرية ليست ضمانة للنجاح. هناك ايضا عرب يدركون أن ايران التي تعتبر أكبر مؤيد لحزب الله تنوي التدخل بصورة أكبر من أي وقت مضى في الشؤون العربية الداخلية. من حسن حظ اسرائيل أن هذه الحرب اندلعت عندما كانت ايران غير قادرة بعد على التهديد باستخدام سلاحها النووي. من هذه الناحية يبدو أن الحرب قد بدأت بصورة مبكرة من وجهة نظر ايران، ومن الجيد أن ذلك قد حدث بهذه الصورة. طهران تدرك أن جزءا من البنية التحتية التي شيدتها لحزب الله سيُدمر في هذه الحرب، لذلك من المهم لها أن تبقى المعابر الحدودية اللبنانية مفتوحة حتى تتمكن من اعادة تسليحه. القوة الدولية المنتشرة في الجنوب لن تكون ذات أهمية اذا لم تحرص على منع ايران وسورية من ارسال السلاح والصواريخ لحزب الله. في كل الاحوال، من الواضح أن ايران ستواصل التخطيط لتهديدات جديدة على اسرائيل، وهناك حاجة للاستعداد لذلك، وليس فقط من خلال الوسائل الدفاعية.

اسرائيل عارضت على الدوام فكرة ارسال جنود أجانب لتنفيذ المهمة بدلا منها، وعندما قبلت اسرائيل في السابق نشر قوة أممية كان ذلك بالإكراه تقريبا. الآن يتوجب على القوة الدولية أن تُزيل صواريخ حزب الله وأن تكون قوة عازلة وواقية لاسرائيل.

القسم القانوني في الجيش وقسم التخطيط العسكري يجدان صعوبة في بلورة موقف من اقتراح ارسال قوة دولية الى لبنان وفقا للبند السابع من وثيقة الامم المتحدة. هذا البند يتيح استخدام القوة وفرض العقوبات على من يخرق وقف اطلاق النار. القوة الدولية ـ بقيادة فرنسا ربما ـ تستطيع أن تقرر أن اسرائيل هي التي تخرق وقف اطلاق النار، ولذلك يتوجب فرض العقوبات عليها. البروفيسورة آن بايبفسكي، الخبيرة القانونية الامريكية المعروفة، تُحذر من مثل هذا التطور.

لم تواجه أي دولة ديمقراطية حرباً كتلك التي تخوضها اسرائيل اليوم في مواجهة تنظيم «ارهابي» اختطف دولة (لبنان). في السنوات الأخيرة كانت هناك حروب محدودة مختلفة كما حدث في افغانستان والشيشان والصومال وكوسوفو والعراق وغيرها. عندما وقفت الدول العظمى، مثل روسيا أو امريكا، جانبا كانت تسمح لنفسها باستخدام القوة من دون قيود وبصورة وحشية جدا احيانا. ليس هناك في منظومة حزب الله في جنوب لبنان أي شيء يماثل حرب 1982. حزب الله بنى منظومة أنفاق تحت الارض تُذكر بتلك التي شيدها الفيتكونغ في فيتنام. اسرائيل وجدت نفسها مضطرة الى استخدام القنابل الحارقة وغيرها من الوسائل المشابهة لإجبار مقاتلي حزب الله الذين يكمنون في هذه الأنفاق ويخرجون منها بين الحين والآخر لضرب قوات الجيش الاسرائيلي واطلاق الصواريخ، على الخروج منها. المنظومة الموجودة في جنوب لبنان خُططت على يد مستشارين ايرانيين برئاسة المسؤول عن «قوة القدس» في حرس الثورة الايراني، قاسم سليماني.

في هذه الحرب تتيح التكنولوجيا الاسرائيلية إلحاق اصابات أكثر دقة في النهار والليل، ولكن وسائل الاتصالات الدولية تملك ايضا أقمارا صناعية قادرة على التقاط الصور ونشر فوري لكل حركة تقريبا. حزب الله قادر بواسطتها على تقدير كل التحركات الاسرائيلية المتوقعة بكل سهولة.

بعد فترة قصيرة من الانسحاب من لبنان اكتشفت اسرائيل أن ايران قد بدأت ترسل كميات هائلة من الصواريخ والاسلحة لحزب الله، وتدريب عناصره. بعد ذلك اتضح أن سورية تقوم بامداد الحزب بالصواريخ الثقيلة. هذه المعلومات وضعت أمام رؤساء الوزراء، من ايهود باراك مرورا بشارون، ولكنهم قرروا رغم ذلك عدم شن حرب وقائية. باراك الذي قاد الانسحاب من لبنان، قبل ذلك بفترة قصيرة، لم يرغب في اعادة جنوده الى هناك. بالاضافة الى ذلك علقت اسرائيل في انتفاضة صعبة وأدرك شارون جيدا الواقع المتبلور في لبنان والمخاطر المحتملة منه، إلا أنه فضل رغم ذلك التركيز على الساحة الفلسطينية ولم يرغب في فتح جبهة ثانية.

هناك جدوى من طرح السؤال اذا كانت هناك حاجة لشن حرب وقائية ضد تنظيم «ارهابي» حيث من الواضح أنه يُعد العدة لقوات هجومية قادرة على تشكيل خطر على دولة اسرائيل.

اسرائيل لم تقم ولو بخطوة دفاعية واحدة ضد قوافل السلاح، وترسانة حزب الله الصاروخية. هذه السياسة اتبعت على الأغلب بسبب الخوف من أن تعتبر الأسرة الدولية شن اسرائيل لعملية هجومية ضد المنظومة الصاروخية في لبنان كحرب وقائية غير مبررة. الاستنتاج من ذلك هو أن دولة ديمقراطية صغيرة لا يمكنها أن تسمح لنفسها بشن حرب وقائية ضد تنظيم ارهابي مهما كان خطيرا. هذا الحق محفوظ للدول العظمى فقط، وعلى الاغلب بعد أن يلحق بها الضرر. من الممكن في هذه المسألة التذكير بالجدل الذي دار بين الاستخبارات الاسرائيلية ونظيرتها الامريكية بصدد صواريخ حديثة بقطر 220ملم كانت سورية قد أمدت بها حزب الله. الامريكيون رفضوا تصديق المعلومات التي أمدتهم بها اسرائيل الى أن سقطت هذه الصواريخ هنا.

اسرائيل لم تفاجأ من قدرات حزب الله العسكرية: شعبة الاستخبارات العسكرية والموساد علمتا بما يحدث في التنظيم. في 22 تموز (يوليو) 2005 كتبت في «هآرتس»: «هناك شك إن كانت لدى اسرائيل اليوم قدرة كافية على التصدي لتهديد صواريخ حزب الله. وحتى اذا أبدنا 80 في المائة منها فسيبقى أكثر من مليون مواطن في الملاجىء». في الثالث من آذار (مارس) 2006 كتبت: «لدى حزب الله وايران في الواقع قدرة على ضرب أهداف جنوبي حيفا. هذه عبارة عن خطوة ايرانية محكمة تمت بالتعاون مع سورية وحزب الله. هناك من يدعون أن هذا ليس تهديدا استراتيجيا لأن هذه الأهداف قابلة للضرب ايضا من خلال عمليات ارهابية. هل يعتبر إدخال مليوني شخص الى الملاجىء وايقاف الدراسة والعمل ضربة غير استراتيجية؟!».

في التقرير الذي نشره دان مريدور قبل عدة اشهر من خلال اللجنة التي ترأسها، جاء أن «حزب الله هو تهديد أمني هام خصوصا بسبب قدراته الصاروخية التي تهدد جزءا هاما من اراضي الدولة. تهديد حزب الله يستوجب الاستعداد الأمني الملائم لذلك سواء في مجال الارهاب أو في المجال الصاروخي».

الحسم العسكري للتنظيمات «الارهابية» الكبيرة لا يشبه إخضاع الجيوش النظامية. رئيس هيئة الاركان السابق موشيه يعلون يعتقد أن من الممكن إخضاع تنظيم عصابات في حرب استنزاف طويلة. هذا لن يكون انتصارا بالضربة القاضية وانما انتصارا بالنقاط.

ليس صحيحا القول ان مقاتلي العصابات قد أحرزوا الانتصارات دائما. الثمن الذي يدفعونه في بعض الاحيان أكبر من أن يواصلوا تهديداتهم. المشكلة هي أن الثمن الذي يدفعونه يزيد من كراهية السكان الذين يعتمد عليهم تنظيم العصابات.

ليس من الممكن اقناع حسن نصر الله بالتخلي عن أفكاره الخلاصية التي يعتبر التطلع لتدمير اسرائيل نقطة مركزية فيها. الحرب الحالية ستكون بالتأكيد رادعة لنصر الله في المستقبل. ولكن في مواجهة أطراف عربية اخرى من المحتمل أن يتزعزع الردع الاسرائيلي بدرجة معينة. من جهة، تدرك هذه الأطراف أن اسرائيل قادرة على الرد بـ«جنون» وحشي اذا تجاوز الطرف الآخر خطوطا حمراء معينة بالنسبة لها. ولكن من الناحية الاخرى قد يستنتجون ايضا أن الطريقة لإيلام اسرائيل ودفعها الى الانسحاب لا تكمن في حشد الطائرات والدبابات، وانما باطلاق آلاف الصواريخ نحو اراضيها.

لا يتوجب الاستنتاج من ذلك أن القدرة الردعية الاسرائيلية قد فشلت في كل المجابهات المحدودة. في السابق نجحت اسرائيل في حربها ضد م.ت.ف رغم أنها كانت تطلق الكاتيوشا من لبنان. اسرائيل نجحت في هذه المجابهات عندما كان لدى الطرف الآخر ما يخسره. هذه المجابهات انتهت في العادة بحرب واسعة حققت فيها اسرائيل انتصارا مؤقتا الى أن جاءت الجولة التالية. حسب استخلاصات دراسة قام بها يوفال كنعان من جامعة حيفا، اسرائيل حققت انجازاتها عندما قصفت البنية التحتية في لبنان، ولكن هذه الانجازات كانت محدودة في العادة.

في اسرائيل ثار في السنوات الأخيرة جدل مثير بين قادة الاجهزة الاستخبارية وقادة سلاح الجو حول قدرة القوات الجوية على حسم تنظيم «ارهابي» والقضاء على التهديد الصاروخي. في نقاش استخبارات سلاح الجو قال رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية حينئذ اللواء اهارون زئيفي (فركش) أنه لا يتوجب تضليل المستوى السياسي وجعله يعتقد أن هناك حلا كاملا لمشكلة الصواريخ. في نقاش آخر في قيادة المنطقة الشمالية قال قائد تلك المنطقة في حينه، بيني غينتس، انه اذا كان الأمر كذلك «فعلي الاستعداد لعملية برية طويلة». يبدو أن مطلبه ـ اقتراحه لم يُستوعب في ذلك الحين.

يبدو أن الجيش الاسرائيلي سيحتاج الى اعادة نظر للكثير من نظرياته الحربية. على الجيش أن يتحقق من نفسه بكل ما يتعلق بـ«النار المقابلة»، وأن يتدرب على احتلال منطقة والاحتفاظ بها في آن واحد. ستكون هناك حاجة لبذل جهد اضافي في المجال الاستخباري كذلك.

بعد الفشل الامريكي ضد صواريخ «سكود» في عام 1991، قامت بعض الدول العربية وايران بتسريع تطوير صواريخ ارض ـ ارض. هذه العملية ستصبح أكثر تسارعا بعد الضربة الصاروخية التي ألحقها حزب الله باسرائيل. كما أن الفلسطينيين ايضا سيسارعون الى تطوير صواريخ القسام وتهريب الكاتيوشا الى المناطق. على اسرائيل أن تمنع بالقوة استمرار مهرجان الصواريخ هذا ضد سكانها. بعد حرب 1973 قامت اسرائيل بتدارس فشل المواجهة ضد الصواريخ المضادة للطائرات التي أصابت طائراتها وغيرت الوضع. هذا ما يتوجب القيام به الآن ضد صواريخ ارض ـ ارض. هذا جهد صعب ومُكلف. بالاضافة الى ذلك على اسرائيل أن تقرر أن من المحظور تجاهل ما نعرفه لمدة طويلة: قصور القوة خصوصا عندما يتعلق الأمر بدولة صغيرة.

زئيف شيف

خبير أمني واستراتيجي

(هآرتس) ـ 2006/8/11

اين اختفى دان حالوتس؟ رئيس الاركان الذي قاد فك الارتباط ليس هو نفسه الذي يقود الحرب الآن

يتحدثون عن عملية عسكرية طويلة.. وافقوا على العملية البرية ولكن ينتظرون قرار مجلس الامن

■ ايضا الاشخاص الذين كانوا قد شاركوا في جلسات المجلس الوزاري ـ الأمني المصغر الدراماتيكية في السابق، يجدون صعوبة في تذكر جلسة مؤثرة الى هذا الحد. التوتر ثقيل وشعور بالضيق مع الأنباء الواردة حول عدد الجنود القتلى. من القسوة قول ذلك ـ يقول أحد المشاركين في الجلسة ـ ولكن من المحظور على الوزراء اتخاذ مثل هذه القرارات الحاسمة مع 15 قتيلا على الرأس.

ايفي ايتام حدّث اولمرت قبل مدة أن الجنرالات جلسوا في حرب الغفران على شبكة اتصال وسمعوا صرخات الموت التي تخرج من حناجر الجنود. ايتام قال ان من المحظور على القادة العسكريين أن يتخذوا القرارات على وقع أصوات الجنود. اولمرت قال له إن ما يقوله صحيح، ولكن ذلك مخالف لطبعه.

أحد المقربين من اولمرت قال انه سيسارع الى الاتصال بدان مريدور اذا ما قال له رئيس الوزراء إنه لا يريد أن يسمع شيئا عن مواقع سقوط الكاتيوشا. لماذا مريدور؟ لأنه يفهم شيئا في نفسية رؤساء الوزراء بعد أن عاصرهم منذ عهد بيغن.

من غير الممكن القول بصورة قاطعة بأن الأنباء الصعبة الواردة من جنوب لبنان قد أثرت على قرار المجلس الأمني المصغر، ولكن الانطباع هو أن هذا المجلس قد اتخذ القرار الذي أراد اتخاذه. تسيبي لفني عبرت عن ذلك بوضوح: أنتم تتحدثون طوال الوقت عن القدرة الردعية، وأنتم تقولون إن كل العالم يراقب قرارنا، وأن قرار عدم الاجتياح البري سيمس بقدرة الجيش الردعية. فما الذي يتوجب علي فعله الآن؟ اذا صوتّ ضد القرار، فانني أمس بالقدرة الردعية.

لفني عبرت من خلال ذلك عن شعور عدد غير قليل من الوزراء الذين يشعرون أن الجيش لم يترك لهم أي بديل، وأنه طرح عليهم رؤية أخروية وحول الحرب الى حرب وجودية. اذا كان رئيس الموساد يقول إننا اذا لم ننتصر في هذه الحرب فان ساعة الرمل لوجودنا ستنقلب رأسا على عقب. فكيف يمكن في مثل هذه الحالة أن يصوتوا ضد القرارات؟.

المعلومات التي يوردها جهاز الدفاع كانت سوداوية. تحدثوا عن عملية عسكرية لمدة تمتد لأشهر وعن مئات القتلى. كل قادة الجهاز الأمني والعسكري، من رئيس هيئة الاركان وحتى رئيس الموساد ورئيس «الشاباك»، كلهم كانوا مع المشروع في الهجوم البري. اولمرت كان متوترا. كان من المهم له أن يضمن الهدوء في الغرفة وأن لا ينشب الجدل بين المشاركين. التوتر وصل الى نقطة الانفجار عندما تهجم بيرتس على موفاز، وعندئذ بذل اولمرت جهوده حتى يحول دون نشوب النزاعات داخل المجلس الوزاري المصغر، وهناك أمر واحد يمكنه أن يبلور أي اطار كهذا وهو: الجيش.

اولمرت شد على يد حالوتس، الرجل الكاريزماتي، الذي قدم الى الجيش كرئيس وزراء مستقبلي، وأصبح الآن في نظر الوزراء أشبه بدادو اليعيزر. رئيس الوزراء عزز ودعم الجيش بصورة غير اعتيادية قائلا: ليس لدينا سوى الجيش، وقوتنا هي قوته.

اولمرت يتذكر لقاءه مع جنود الاحتياط الذين شجعوه على السماح لهم بالتوجه الى لبنان دفاعا عن البيت الذي يتعرض للهجوم. نداءاتهم أثارت الانفعال في نفسه، ولكنها لم تكن مقنعة له. نفس الشعور كان بالنسبة لاغلبية الوزراء، والاعتقاد هو أنه اذا صدر عن مجلس الأمن قرار جيد فان كل الوزراء سينقضون عليه. خلال استراحة النصف ساعة، تحدث اولمرت مع كوندوليزا رايس على الهاتف، وأجمل قرارات المجلس الوزاري بجملة واحدة: نحن سنحقق أهدافنا، اذا لم يكن بالطرق السياسية فبالطرق العسكرية وبمزيد من القوة.

ماذا يعني القول إننا لم ننتصر؟

هذه الجملة هي خلاصة موقف اولمرت الذي يعتقد أن أهداف هذه الحرب سياسية وليست عسكرية. انتشار 15 ألف جندي لبناني ومعهم 10 آلاف من اوروبا، من الليطاني جنوبا هو أمر مدهش يتوجب التقاطه بكلتا اليدين.

الاتفاق المتبلور بقيادة واشنطن بدا في نظر اولمرت في يوم الاربعاء انجازا سياسيا كبيرا، واسرائيل حسب وجهة نظره حصلت على كل ما أرادت.

ولكن في نفس الوقت، يعتقد اولمرت أن توسيع العملية العسكرية هو ورطة، ذلك لأنه اذا لم يحدث وقف لاطلاق النار فسينجر الجيش الى بيروت. مصادقته على الخطة الموسعة التي اقترحها الجيش كانت رمزية فقط، إلا أن عقله وقلبه يقولان شيئا آخر.

يتوجب أن يكون الواحد بطلا حتى يصادق على عملية موسعة كتلك التي يقترحها الجيش مع معرفة الثمن المترتب عليها. وفي نفس الوقت يجب أن تكون بطلا حتى ترفض المصادقة على عملية يُجمع عليها كل الجنرالات. اولمرت يرى مهمته في وضع حدود لاقتراحات الجيش ورؤيته العسكرية للأمور.

ليس من المؤكد أن اعتبار الجهاز الأمني توسيع العملية هو مسألة وجودية، مقنع لاولمرت. في ديوانه يقولون إن الامبراطورية الروسية الضخمة احتلت افغانستان في عهد بريجنيف، وبعد ذلك فرت وذيلها بين قدميها. وفي لبنان نواجه أناسا استعدوا لهذه الحرب طوال سنوات وحفروا الخنادق وأعدوا العدة للمواجهة.

ايضا التأثير الذي سيترتب على الحل السياسي ـ بدلا من العسكري ـ على دول مثل سورية وايران، لا يؤثر في اولمرت. سورية تدرك جيدا أنها اذا أطلقت علينا صاروخا واحدا فلن نتوقف الى أن نخضعها، وفي سورية لن تواجه اسرائيل مشكلة في تدمير كل محطات الطاقة وقيادة الاركان العامة.

كل الطرق من ديوان اولمرت تقود نحو الاتفاق السياسي. العيون شاخصة نحو واشنطن ونيويورك، وبداية احتمالية تبلور تسوية تقود الى وقف اطلاق النار. بيرتس ايضا، الذي طرح مع الجيش الخطة العسكرية الموسعة، يأمل بوصول الاشارة من الولايات المتحدة. الجيش، حسب رأيه، جلب للمجلس الوزاري ما أراده: خطة لشل الكاتيوشا. ولكن الخطة تظهر كيفية شل مناطق اطلاق الصواريخ، ولكنها لا تظهر كيفية احتلال الليطاني.

بيرتس لا يستبعد اختيار الحل السياسي، ولكنه يعتقد أن المراوحة تستوجب السعي للحسم العسكري في ظل وجود مليون ونصف مليون شخص في الملاجىء. حركة الجيش، حسب رأيه، ستؤثر على مجلس الأمن وما يحدث فيه. وكلما تحرك الجيش بسرعة أكبر كلما سارعوا في الامم المتحدة لاتخاذ القرار.

ماذا حدث لرئيس هيئة الاركان؟

«ليس من الضروري أن تكون خروفا حتى تقود القطيع»، هذا ما اعتاد حالوتس قوله في مقابلاته منذ أن أصبح رئيسا لهيئة الاركان. هذا كان رده الجاهز على كل من كانوا يستغربون كيف وصل قائد سلاح الجو الى قيادة الجيش. وقد كان من الممكن أن يجتاز حالوتس كل فترته في رئاسة الجيش من دون أن تشوب ملابسه الزرقاء أية شائبة، إلا أن الحرب داهمته وكشفت عن النقطة التي كان يطرحها المعارضون ضده: إن رجلا من سلاح الجو لا يمكن أن يكون رئيسا لهيئة الاركان العامة. جيناته ستقود حسب رأيهم الى المعركة الجوية الطويلة، وهذا ما حدث فعلا.

ومع ذلك، كان من الممكن أن يجتاز حالوتس بسلام قضية الادعاء بأنه قد أطال المرحلة الجوية الاولى من الحرب وتريث في ارسال القوات البرية، لو كان لديه مستشارون جيدون، ولكن وجوده الى جانب رئيس وزراء ووزير دفاع من دون خبرة عسكرية وظهور قائد المنطقة الشمالية في مظهر غير المتحمس للمعركة ـ استوجب قيامه بدراسة كل خطوة من قبل القفز الى هذه المغامرة التي قد تورط الجيش في الوحل اللبناني مرة اخرى.

أين رئيس هيئة الاركان الذي نعرفه؟ أين اختفى دان حالوتس؟ هذا السؤال يطرح أكثر من مرة خلال الاسبوعين الأخيرين. من يعرفه يمكنه أن يدرك أن شيئا ما غير جيد يمر عليه. رئيس هيئة الاركان الذي قاد خطة فك الارتباط باصرار وحساسية بالغة، ليس نفس الشخص الذي يقود الحرب الآن. هناك كان حازما ذا حالة مزاجية جيدة وهادئا بصورة غير عادية. أما في هذه الحرب فهو يجد صعوبة في اخفاء العبء الذي يرزح تحته مترددا وغير واثق من نفسه ولا تنبعث منه الثقة المطلوبة على من حوله. ليس من المستبعد أن يكون حالوتس مثل الجيش كله قد فوجئ من ترسانة حزب الله الهائلة، ومن استعداداته غير المسبوقة للمواجهة. تماما تحت أنف هذا الجيش ترعرع ونما تنظيم ارهابي ذو قدرة كبيرة، الأمر الذي يحتاج أكثر من قائد منطقة لطيف وشبه نائم من اجل دحره. يقولون عن أودي أدام انه يفهم في الامدادات والقوى البشرية، إلا أنه يفتقر الى غريزة الانتصار المطلوبة في ساعات الحرب الضارية. هذا الوضع غير مريح لرئيس هيئة الاركان الذي يفضل الارتكاز على جياد مندفعة، وليس على بغال كسولة.

قرار تعيين نائب حالوتس بدلا من أودي أدام، لم يكن سهلا بالنسبة لحالوتس، وقد أدرك بالتأكيد أنه سيثير ردود فعل وبلبلة، ومع ذلك هو يعتقد أن كابلنسكي سيكون أفضل من أدام في المنصب.

قرار ايقاف التوغل البري بسبب الاتصالات السياسية كان بالنسبة لحالوتس سيئا جدا. اذا حدث ذلك فستطرح كل الاسئلة الصعبة ـ تلك التي تتعلق بالمعلومات الاستخبارية السيئة والاخلالات الكثيرة وعدم خبرته في ارض المعركة البرية وحزمه في مواجهة المستوى السياسي وتردده.

وربما يظهر أنه كان محقا في مواقفه في نهاية المطاف، وأن تردده كان في محله. الآن وضع حالوتس على طاولة اولمرت ما لم يرغب في الوصول اليه: خطة موسعة، رغم الخسائر المترتبة عليها من اجل الحصول على ما يأمله الجميع ـ ايقاف الكاتيوشا وتوجيه ضربة قاصمة لحزب الله. حالوتس توصل الى القرار بعد أن أجرى محاسبة للنفس عندما قال في المجلس الوزاري إن هناك حاجة الى اجتياح بري لانهاء الحرب بصورة مختلفة. ولكن رغم تصويت المجلس الوزاري المصغر مع الخطة، إلا أنه يشك في أن يشاطره أحد من الوزراء في هذه الخطة. الجيش الذي يُعد للدخول الى لبنان بطريقة اخرى، يتعرض لرياح مغايرة.

ذلك لأننا في نهاية المطاف نعود دائما الى نفس النقطة: كل شيء موضوع على أكتاف الجنود.

سيما كدمون

مراسلة الشؤون الحزبية

(يديعوت احرونوت) ـ 2006/8/11